**دروس عبر الخط:** التاريخ: 2021/01/28

**المقياس:** التحليل النفسي للأدب. **الأستاذ:** فريد زغلامي.

**الجمهور المستهدف:** السنة الثالثة ليسانس تخصص: نقد ومناهج

## المحاضرة الثامنة: آفاق التحليل النفسي للأدب

يشترك علم النفس والأدب في تناول موضوعات متقاربة، تتجلى في أفكار الإنسان وأحاسيسه وعواطفه، فالشعر مثلا، كما يقول الباقلاني، "تصوير ما في النفس"، منا هنا منح علم النفس لذاته حق قراءة الأدب وتحليله وتفسير نصوصه.

ويعد "سيغموند فرويد" من أوائل الأطباء الذين استطاعوا أن ينفذوا من العلم والفلسفة إلى ميدان الفن والإبداع، مقدّما تفسيرات نفسية أحدثت ضجة علمية في الأوساط النقدية، حاول من خلالها "فرويد" أن يدلل ويبرهن على صحة آرائه وأفكاره وتجاربه النفسية التي ارتضاها قوم وأنكرها آخرون.

إذا كان "فرويد" قدر رأى بأن الفن والإبداع تعويض عن كبت جنسي يعاني منه المبدع، وضربا من ضروب التنفيس في لحظات غياب الأنا الأعلى؛ فإن التفسيرات التي جاءت بعده، سواء من قبل تلاميذه أو غيرهم، لم تشايعه مطلقا في عدّه الغريزة الجنسية محركا ودافعا رئيسيا للإبداع.

ومن أشهر تلاميذ "فرويد" الذين خالفوا طرحه نجد "ألفرد أدلر" الذي اعتقد أن المحرك الأساسي للسلوك الإنساني والدافع الحقيقي للإبداع والتفوق هو "عقدة النقص أو القصور"؛ فمركب النقص يدفع الفنان إلى إرادة التفوق في محاولة إثبات الذات وتأكيد الوجود.

أما "كارل غوستاف يونغ" تلميذ "فرويد" أيضا فقد نقل بحثه من اللاشعور الفردي إلى ما سمّاه بـ"اللاشعور الجمعي" الذي هو عبارة عن مستودع أو قبو تُركم فيه تجارب الأسلاف وخبراتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم يرثها الإنسان عن بني جنسه، وقوام اللاشعور الجمعي عند

يونغ هي الأنماط العليا أو النماذج البدائية، والأدب هو تعبير رمزي عن هذه الأنماط، ودور الأديب هو رسم المشهد ولكن بريشة جديدة وبألوان جديدة.

إذا كانت الدراسات النفسية منذ "فرويد" مرورا بأدلر ويونغ قد ركّزت بصفة خاصة على نفسية الفنان أو الأديب وعلاقتها بإبداعاته فإنه منذ أعمال الناقد الإنجليزي " إيفور أرمسترنغ ريتشاردز" وخاصة في كتابه "مبادئ النقد الأدبي"(1924م) بدأ الالتفات إلى تحليل وتفسير العمليات النفسية الدائرة في داخل المتلقين على اختلاف شخصياتهم وأعمارهم وثقافاتهم في أثناء استيعابهم وتذوقهم للأعمال الفنية.

فبهذه الآلية يصبح على الناقد تحديد مدى التأثير النفسي للعمل الفني على المتلقي، باعتباره الهدف الأساسي والاستراتيجي للعملية الإبداعية، ويرى أنه إذا كانت الحياة بهمومها وصراعاتها وتناقضاتها تؤثر على نفسيات المتلقين وتشكّل فوضى؛ فإن الفن يعيد تنظيم هذه الحياة عن طريق تنظيم الإحساسات، وبعث الارتياح النفسي؛ وفي ذلك يقول "ريتشاردز":" إننا ننتقل عادة من حالة الفوضى إلى حالة أحسن نظاما بطرق نجهلها كل الجهل وغالبا ما يتم هذا الانتقال عن طريق تأثير الأدباء والفنانين في نفوسنا"، فصارت مهمة الناقد الكشف عن قدرة هذا العمل الفني أو ذاك في تلبية الاحتياجات النفسية عند المتلقي بمجرد انتقاله إلى نفوسهم، ولعل هذا من بين أهم الأسباب في خلود بعض الأعمال الفنية في نفوس المتلقين دون غيرها.

تجمع عامة البحوث والدراسات على أن الناقد الفرنسي "شارل مورون"، الذي يُعزى إليه مصطلح النقد النفساني (Psychocritique)، قد حقق انتصارا منهجيا كبيرا؛ إذ فصل النقد الأدبي عن علم النفس، وجعل من الأول أكبر من أن يبقى مجرد شارح وموضح للثاني، مقترحا منهجا لا يجعل من التحليل النفسي غاية في ذاته، بل يستعين به وسيلة منهجية في دراسة النصوص الأدبية، فقد حلل الأعمال الأدبية والفنية كناقد أدبي لا طبيب نفسي.

قدّم "مورون" دراسة عن الشاعر " مالارميه" سنة 1940م ودراسة عن الشاعر "راسين" بعنوان ( اللاشعور في آثار راسين) عام 1957م، والاستعارات الملحة والأسطورة الشخصية، إضافة إلى النقد النفسي للفن الكوميدي عام 1964م.

سعى "مورون" من خلال هذه الدراسات تأسيس النقد النفسي للفن، حيث ينطلق من النص الأدبي متخذا من التحليل النفسي وسيلة للقراءة والتحليل تعمّق الفهم لدور كل ما يواريه اللاشعور في تشكيل الأعمال الفنية؛ إذ اعتبر أن النتاج الفني ظاهرة إبداعية لا وثيقة معرفية أو معلوماتية نتعرف من خلالها على نفسية المبدع.

حاول بعض النقاد في ستينيات القرن الماضي الجمع بين التحليل النفسي والنظريات اللغوية والنقدية الحديث، فقامت هذه المحاولات بإبعاد ذات الأديب والاهتمام بلاوعي المكتوب. ولعل من بين أشهر الذين نادوا بذلك الناقد الفرنسي "جاك لاكان"، وخاصة منذ مؤلفه "كتابات" (1966م) الذي جمع فيه بين النظريات اللسانية والبنيوية وبين معطيات التحليل النفسي الفرويدي؛ حتى يتسنى له جعل اللغة مادة للتحليل النفسي، وكان دائما يردد بأن بنية اللاوعي شبيهة ببنية اللغة، فهو مبني في النفس الإنسانية مثل بناء اللغة.

كما أقدمت الناقدة الفرنسية "جوليا كريستيفا" في بعض أعمالها على المزاوجة بين التحليل النفسي والسيميائية، ومن بين أعمالها التي يتجسد فيها هذا الجمع نذكر: " الشمس السوداء"، "من أجل ثورة للغة الشعرية"، "قوى الرعب". وترى أن هناك تعارض بين ما هو سيميائي ورمزي في تكوّن النص، حيث يرتبط ما هو سيميائي بالناحية النزوية والبدائية، وبالممارسات اللغوية التي تنتمي إلى الطفولة الأولى ... ويشار إليه على أنه أمومي أنثوي، أما الرمزي فيتعلق بقانون اللغة(النحو، تنظيم الأدلة ...)، ويتحدد بالأبوي. وتحاول "كريستيفا" قراءة النصوص الأدبية باعتبارها مواجهة جدلية بين هذين النظامين، وهي تمنح الأهمية للنشاط السيميائي/الأمومي لتعيد للشعر قدرته النزوية(الموسيقية، ...).

كما سعت "باربرا جونسون" في كتابها "الاختلاف الثقافي" دمج النزعة التفكيكية في الأدب والتحليل النفسي عن طريق مفهوم النصية.

ومن التطورات التي عرفها التحليل النفسي للأدب ما أطلق عليه "جون بيلمان نويل" لاوعي النص أو التحليل النصي؛ حيث ينطلق من فرضية لاوعي النص التي تترك جانبا الكاتب لتهتم بالخطاب اللاوعي الذي يتحقق داخل النص.

يُراد بلاوعي النص الانزياح الذي يقع بين ما يريد الكاتب أن يقوله وما انتهت الكتابة إلى أن تجعله يقوله، فالنص ينفلت من هذا الذي يكتبه، مع أنه لا يضّمُ شيئا غير ما يصدر عنه. هذا يعني الاهتمام بالنص، وتجاوز المؤلف أثناء النقد والتحليل. ويقوم التحليل النصي عند بيلمان نويل على ثلاثة أسس:

1-عزل الكاتب وتغييبه.

2-الإنصات إلى النص.

3-تورط الذات القارئة في عملية القراءة أو ما أسماه بالتحقق القرائي؛ أي التواصل الانفعالي مع النص، حيث تتحد خبرات القارئ وذاته مع ما يجده في أعماق النص(من الممكن جدا ما لم يقصده المؤلف).

## مراجع المحاضرة:


1- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، دار جسور، الجزائر، ط1، 2007.

2- جان بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، تر(حسن المودن)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، د. ط، 1997.

3- جون ستروك، البنيوية وما بعدها، تر(محمد عصفور)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996.